استراتيجية روسيا في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد 2010

Russia's strategy in the Middle East and North Africa after 2010



طالب الدكتوراه/ محمد بهلول
المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية، الجزائر
mohamedbahloul120000@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2017/10/09 تاريخ القبول للنشر: 2018/10/18



ملخّص:

تسعى روسيا الاتحادية إلى العودة للنظام الدولي واستعادة مكانة القوة العظمى، يظهر ذلك إثر التدخل عسكريا في جورجيا سنة 2008، وأوكرانيا سنة 2014 ما يدل على رؤية استراتيجية لدى صناع القرار في روسيا الذين يريدون تأكيد وترسيخ هذه العودة عبر بوابة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الاستراتيجية التي اعتمدت عليها روسيا الاتحادية لتحقيق مصالحها في المنطقة، بالتركيز على مبادئ هذه الاستراتيجية، ثم التطرق للأهمية الجيواستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، والموقف الذي اتخذته روسيا الاتحادية من الأحداث في المنطقة العربية التي وصلت للحرب في بعض الدول على غرار اليمن، ليبيا، وسوريا. وستحاول هذه الدراسة الإجابة على الإشكالية التالية:

كيف تساهم استراتيجية روسيا الاتحادية بزيادة النفوذ في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد 2010؟

الكلمات المفتاحية: استراتيجية؛ روسيا؛ شرق أوسط؛ شمال إفريقيا.

Abstract:

The Russian Federation seeks to return to the international order and restore the status of the superpower. This is evidenced by the military intervention in Georgia in 2008 and Ukraine in 2014, which shows a strategic vision for Russian decision-makers who want to emphasize and consolidate this return through the Middle East and North Africa.

This study aims at highlighting the Russian Federation's reliance on its interests in the region, focusing on the principles of this strategy, then addressing the geostrategic importance of the Middle East and North Africa, and the position adopted by the Russian Federation on the events in the Arab region which reached the war in some countries such as Yemen , Libya and Syria. This study will attempt to answer the following research problem:

How can the Russian Federation's strategy be understood in the Middle East and North Africa?

key words: *Strategy; Russia; Middle East; North Africa.*

مقدّمة:

على مر المراحل التاريخية المختلفة، كان دور روسيا في النظام الدولي يتراجع لدرجة الاضمحلال، لكنه يعود للصعود التدريجي والعودة لمركزه المعتاد. مما جعل العديد، بل أغلبية المحللين السياسيين والباحثين الأكاديميين يعتقدون بانتهاء الدور الروسي بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، وغياب استراتيجية واضحة نظرا للتحولات التي طرأت على النظام الدولي في تلك الفترة.

وقد عانت روسيا الاتحادية خلال التسعينيات على المستوى الداخلي بتصاعد الحركات الانفصالية، و على المستوى الإقليمي بظهور دول جديدة على حدودها أصبحت أعضاء في "حلف الناتو"، ما زاد عزلة روسيا عن محيطها الإقليمي، وارتفع مستوى التهديد من الدول الغربية (حلف الناتو). لكن في سنة 2008 تدخلت روسيا في جورجيا، ثم في 2014 تدخلت في أوكرانيا وأعلنت ضم شبه جزيرة القرم كان ذلك إعلانا صريحا عن عودة روسيا كقوة كبرى لها مكانتها في النظام الدولي/العالمي، حيث بدأ صناع القرار في روسيا الاتحادية بإعادة ترتيب أوراقهم في الدوائر الاستراتيجية للأمن القومي الروسي، والعودة التدريجية لمناطق النفوذ على غرار منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (Middle East and North Africa) لما تحتويه من ثروات طبيعية استراتيجية كالنفط والغاز، وباعتبارها قوة مالية تجعل من دول المنطقة منطقة استثمارات وكذلك في مجال التسلح خاصة في ظل وجود عدة خلافات/نزاعات دينية وطائفية واستراتيجية بين دول المنطقة (النزاع العربي- الصهيوني، الصراع السعودي الإماراتي، الخلاف القطري الخليجي، الصراع الجزائري-المغربي، النزاع المغربي-الصحراوي).

لذلك فإن القوى العظمى تسعى باستمرار للتواجد في هذه المنطقة عبر عدة أساليب (تواجد مباشر، استثمارات، بناء حكومات موالية) وروسيا ستسعى باستمرار لتعزيز مكانتها في المنطقة. من هنا تبرز أهمية هذا الموضوع كونه يتطرق للاستراتيجية التي شرعت روسيا الاتحادية في تطبيقها في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا منذ سنة 2009، وبوادر عودة روسيا باعتبارها قوة عظمى في النظام الدولي. ومن جهة أخرى في التعرف على المواقف المختلفة التي تتبناها روسيا الاتحادية تجاه الأحداث التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

تهدف الدراسة إلى البحث في الأسباب الكامنة وراء الاهتمام المتزايد لروسيا الاتحادية بمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا خاصة بعد 2010 وما شهدته المنطقة العربية من أحداث، ومن جهة أخرى تحاول هذه الدراسة إبراز الاستراتيجية التي تتبناها روسيا الاتحادية في المنطقة.

وبالتالي يمكن طرح الإشكالية التالية:

كيف تساهم استراتيجية روسيا الاتحادية بزيادة النفوذ في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد 2010؟

ويمكن وضع الفرضيتين التاليتين قيد الاختبار:

يزداد تغلغل روسيا الاتحادية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بازدياد فعالية استراتيجيتها في أحداث هذه المنطقة.

كلما زاد تباين موقف روسيا من الأحداث في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تناقصت فرص بسط نفوذها على المنطقة.

أما عن المناهج المعتمدة في هذه الدراسة سيتم الاعتماد المنهجين الوصفي والتحليلي.

المنهج الوصفي: هو المنهج الذي يعتمد الباحث من خلاله على تحليل قائم على معلومات كافية، ودقيقة عن موضوع معين من خلال فترة زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على معلومات ونتائج عملية ثم تفسيرها بطريقة موضوعية(1). وسيتم الاعتماد على هذا المنهج للتعرف على الاستراتيجية التي تطبقها روسيا الاتحادية في منطقة الشرق الاوسط وشمال إفريقيا من خلال وصفها والتعرف على المبادئ التي تقوم عليها في فترات تاريخية.

المنهج التحليلي: يقوم هذا المنهج على تحليل الظواهر الاجتماعية أو الطبيعية من خلال النقد البناء الذي يسمح له بالوصول إلى النتائج المرجوة معتمدا على الدعائم المادية والمعنوية(2). وسيتم الاعتماد على هذا المنهج لتحليل الاستراتيجية والمواقف التي تتبناها روسيا الاتحادية تجاه منطقة الشرق الاوسط والتركيز على تحليل الأفكار المتعلقة بالوثائق والمصادر الرسمية.

أما عن النظريات التي سيتم الاستعانة بها لتحليل الموضوع هي نظرية قلب الأرض(heartland) في التحليل الجيوستراتيجي حيث يعتبر "ماكندر" الكرة الأرضية كتلة واحدة ويطلق على القارات الثلاث أوربا إفريقيا وآسيا اسم "جزيرة العالم"، ويرى أن هذه الجزيرة لها مركز ينطبق على روسيا، واعتبر أن "من يسيطر على أوربا الشرقية يسيطر على قلب الأرض ومن يسيطر على قلب العالم يسيطر على العالم". ويعتقد "ماكندر" أن توزيع الأراضي والبحار هو العامل الرئيسي، فالدولة التي تمتلك القوة في البر والبحر هي التي تكون السيدة، ولا يمكن تحقيق هذا الشرط إلا إذا توفرت للدولة "كتلة قارية" منسجمة منفتحة على المحيطات ويقول "ماكندر" ولما كانت روسيا وحدها هي التي تملك هذه الكتلة الأرضية، فلابد من منعها من الحصول على منافذ للبحار الحرة، إذا ما أردنا الحيلولة بينها وبين الهيمنة على العالم"(3). ولازالت روسيا تبحث عن منافذ للمياه المفتوحة "الدافئة" خاصة البحر الأبيض المتوسط وذلك لفك عزلتها الجغرافية وستكون منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا حيث تحاول كسر العقدة التي تعاني منها " عقدة الجغرافيا.

وسيتم تحليل الموضوع بالاعتماد على الخطة الآتية:

المبحث الأول: استراتيجية روسيا الاتحادية بين "ميدفيديف" و"بوتين"

المطلب الأول: السياسة الأمنية لروسيا الاتحادية في عهد الرئيس " ميدفيديف".

المطلب الثاني: استراتيجية روسيا الاتحادية في عهد الرئيس "بوتين".

المبحث الثاني: عودة روسيا الاتحادية لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

المطلب الأول: موقع الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وأهميته الجيوستراتيجية.

المطلب الثاني: موقف روسيا من الأحداث في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد2010.

المبحث الأول

استراتيجية روسيا الاتحادية بين "ميدفيديف" و "بوتين"

بعد تفكك الاتحاد السوفياتي ظلت روسيا الاتحادية تراوح مكانها وتحاول جاهدة العودة لسابق عهدها باعتبارها قوة عظمى، ويعتبر كل من الرئيسين "ديميتري ميدفيديف" و"فلاديمير بوتين" أبرز القادة الروس الذين حاولوا إعادة روسيا لما كانت عليه من قوة، ومكانة في النظام الدولي.

المطلب الأول: السياسة الأمنية لروسيا الاتحادية في عهد الرئيس "ديميتري ميدفيديف"

بتاريخ 2008/07/12 وقع الرئيس الروسي السابق "ميدفيديف" (Medvedev) وثيقة "مفهوم السياسة الخارجية" (Foreigen Policy Consept) (FPC) باعتبارها أول وثيقة أمنية يصدرها كرئيس ركزت على تفاعل روسيا مع الأطراف الدولية على غرار الهياكل الأمنية الأورو-أطلسية، وكذلك التعاون الأمني مع الفواعل الشرقية، وقد اعتبرت هذه الوثيقة روسيا قوة عظمى (Super Power) مع دور كامل يؤثر في شؤون العالمية، كما أن روسيا قادرة على حماية مواطنيها في الخارج وفي الداخل، بالإضافة إلى ذلك فإن روسيا ترغب في إنشاء أمن جماعي إقليمي مختلف عن النظام المطبق من قبل الغرب. وترفض توسيع منظمة حلف شمال الأطلسي، خاصة فيما يتعلق بأوكرانيا وجورجيا. كما أكدت الوثيقة على رفض موسكو منظومة الدفاع الصاروخي الأمريكية (الدرع الدفاعي الصاروخي) في أوروبا[(4)].

وقد اعتبر "ميدفيديف" أن روسيا منهمكة في إعادة تعريف النظام الإقليمي والعالمي، ولا يمكن اعتبار أن روسيا تسعى لإحياء الاتحاد السوفياتي أو الإمبراطورية، بل إن روسيا تحاول تكوين بنية مؤسسية جديدة تكون "موسكو" وسطها، واستندت وثيقة "مفهوم السياسة الخارجية" على خمس نقاط أساسية[(5)]:

- لابد من تفعيل قواعد القانون الدولي الذي يجب أن يكون له الأولوية. وستكون مبادئه محددا للعلاقات بين الشعوب، وستبني روسيا علاقتها مع الدول الأخرى في إطار القانون الدولي.
- التعددية القطبية يجب أن تحل محل الأحادية القطبية في نظام تسيطر عليه الولايات المتحدة الامريكية، فالهيمنة أمر غير مقبول ولا يمكن السماح بها، ولا يمكن القبول بنظام عالمي تنفرد فيه دولة واحدة باتخاذ جميع القرارات، ما سيؤدي إلى عدم استقرار وصراعات.
- روسيا لا تريد المواجهة مع أي بلد آخر، وليس لديها نية لعزل نفسها، وسوف تطور علاقات ودية مع أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وبلدان أخرى قدر الإمكان.
- حماية أرواح وكرامة المواطنين في أي مكان، وهذا أمر لا جدال فيه، وستقوم سياسة روسيا الخارجية على هذه الحاجة. كما ستحمي روسيا مصالح مجتمع الأعمال في الخارج، يجب أن يكون واضحا للجميع بأن روسيا سترد على أي أعمال عدوانية ارتكبت ضدها.

- تمتلك روسيا كغيرها من الدول مصالح متميزة في عدة مناطق تشترك معها في العلاقات التاريخية الخاصة، وترتبط معها بعلاقات ودية كأصدقاء وجيران قريبين.

ويزداد تأكيد روسيا على نيتها في العودة بصفتها قوة عظمى وثيقة "استراتيجية الأمن القومي للفدرالية الروسية إلى غاية 2020" (National Security Strategy Of The Russian Federation To 2020) والتي صدرت بتاريخ 2009/05/12، احتوت 112 نقطة اعتبرها "الكريملين" بأنها ما يجب تحقيقه من أجل أمن الاتحاد الفيدرالي وتحقيق أهدافه الاستراتيجية. وبينت الوثيقة أن هناك تأثيرا سلبيا على ضمان المصالح القومية لروسيا من خلال الإفراط في استخدام القوة في العلاقات الدولية ما ينتج عنه تهديدات كثيرة (إرهاب، تهديدات سيبرانية، نمو المشاعر القومية والحركات الانفصالية والاتجار بالبشر، والهجرة وغيرها من التهديدات) بالإضافة إلى ذلك فإنه على المدى الطويل، ستقوم السياسة الدولية على امتلاك موارد الطاقة، أما على المدى المتوسط فسيستمر الوضع في العراق وأفغانستان، وكذلك الصراعات في الشرق الأدنى والشرق الأوسط، وجنوب آسيا وإفريقيا في حال استمر هذا التأثير السلبي على الوضع الدولي(6).

المطلب الثاني: الاستراتيجية الامنية الروسية في عهد "فلاديمير بوتين"

استلم "فلاديمير بوتين" (Vlademir Putin) السلطة كرئيس بالوكالة بتاريخ 1999/12/29 بعد مغادرة "يلتسن" "الرئيس السابق"، ونجح في الانتخابات الرئاسية المقامة بتاريخ 2000/03/27 من الدورة الأولى بعد فوزه بنسبة 53% من الأصوات(7).

وقد عمل "بوتين" من أجل إعادة روسيا للمكانة المعتادة لها على النقاط التالية(8):

أ- إعادة بناء الجيش ومؤسسات الدولة:

بدأ "بوتين" بإعادة تأهيل مؤسسات الدولة من خلال تقوية سلطة الدولة المركزية وتشديد القبضة على قدراتها الاستراتيجية بالاعتماد على إعادة بناء الجيش وحل مشكلاته، وإعادة الروح لمؤسسات الدولة.

- إعادة بناء الجيش وحل مشكلاته:

كلف الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" سنة 2000 رئيس هيئة الأركان بوضع خطة إصلاح، وعصرنة الجيش بتكلفة إجمالية تقدر بـ 189 مليار دولار أمريكي حتى سنة 2015، وإعادة تجهيز كل القوات الاستراتيجية.

- إعادة الروح إلى مؤسسات الدولة:

ركز "بوتين" على المؤسسات الاقتصادية أولا التي كانت تستثمر المواد الأولية خاصة "غاز بروم" التي طرد مديرها سنة 2001، وفي 2002 أدخل إصلاحات على قطاع الكهرباء، وقدم العديد من اقتراحات القوانين التي تتعلق بتنظيم مؤسسات الدولة، وتخفيف البيروقراطية.

ب-وضع اليد على المواد الأولية:

تعتبر روسيا سابع احتياطي للنفط بحوالي 74.4 مليار برميل حسب تقديرات 2005، رابع منتج للكهرباء (الطاقة الكهربائية) ولديها أكبر عدد من المفاعلات النووية (31 مفاعلا).

- على المستوى الداخلي:

سيطر "بوتين" على موارد المواد الأولية بعد إحكام قبضته على مؤسسة "غاز بروم" وكذلك تعلق الأمر بالنفط.

- على مستوى دول الجوار:

قام "بوتين" بتعديل اتفاقيات تموين أوروبا بالمواد الطاقوية (دول أوروبا الشرقية) وفي 2006 قطع إمداد أوكرانيا بالغاز بسبب الاختلاف حول الأسعار، كما قام ببناء خط غاز نحو هولندا عبر بحر البلطيق، وآخر عبر البحر الأسود يصل إلى إيطاليا والنمسا للتخلص من ضغط أوكرانيا وتركيا.

- على مستوى الدول الأوروبية:

تعتمد الدول الأوروبية على الغاز والنفط الروسيين (62% من صادرات الغاز من روسيا نحو الدول الأوروبية، و53% من صادرات النفط) واتهمت الدول الأوروبية "بوتين" باستخدامه لذريعة الطاقة للضغط عليها سياسيا.

- الملفات الدولية:

بعد توليه السلطة رفض "بوتين" النظام الدولي القائم وأعلن سنة 2000 عن دعوته إلى عالم متعدد الأقطاب لا يخضع لقوة واحدة، وسيكون لروسيا دور فيه، وانخرطت روسيا سريعا في "الحرب على الإرهاب" بعد 2001/09/11.

تتبلور الاستراتيجية الروسية من خلال وثيقة "استراتيجية الأمن القومي" التي وقعها الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" بتاريخ 2015/12/31 كتحديث للوثيقة السابقة المنشورة سنة 2009، وتبين هذه الوثيقة المصالح القومية والاستراتيجية لموسكو على الأقل في السنوات الست القادم[(9)].وتقوم استراتيجية روسيا الاتحادية تجاه النظام الإقليمي والعالمي على النقاط التالية[(10)]:

- صون المصالح الوطنية بسياسة خارجية ترمي إلى إقامة نظام مستمر ودائم للعلاقات الدولية يعتمد على القانون الدولي، ويقوم على مبادئ المساواة والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، والتسوية السياسية لحالات الأزمات العالمية والإقليمية.

- تعمل روسيا الاتحادية على زيادة التعاون مع شركائها في مجموعة "بريكس" (BRICS) (البرازيل روسيا، الهند، الصين، وجنوب إفريقيا) (RIC) (روسيا، الهند، الصين)، وكذلك منظمة شنغهاي للتعاون منتدى التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادي، ومجموعة العشرين (G20) وغيرها من المؤسسات الدولية.

- تطوير العلاقات الثنائية ومتعددة الأطراف، وتطوير إمكانات التعامل والتنسيق الإقليمي مع دول الجوار، وتطوير الأمن الجماعي ومواجهة التحديات العسكرية-السياسية وكذلك العسكرية-الاستراتيجية.

- تطور روسيا الاتحادية علاقات استراتيجية مع جمهورية الصين الشعبية وتعاون استراتيجي باعتبارهما عاملين رئيسيين في الحفاظ على الاستقرار العالمي والإقليمي.

- يولي الاتحاد الروسي أهمية كبرى للشراكة الاستراتيجية الممتازة مع الهند.

المبحث الثاني

عودة روسيا الاتحادية لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

استندت روسيا الاتحادية على الوثيقتين الاستراتيجيتين في عهدي الرئيسين "ميدفيديف" و" بوتين للعودة التدريجية باعتبارها قوة عظمى لها مصالح في أي منطقة من العالم، وسيتم من خلال هذا المبحث إبراز الأهمية التي تحظى بها منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا لدى روسيا الاتحادية، والمواقف التي تبنتها روسيا من الأحداث التي تشهدها المنطقة.

المطلب الأول: موقع الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وأهميته الجيوستراتيجية

تحتل منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا أهمية جغرافية، فهي تقع عند تقاطع أوروبا، إفريقيا جنوب الصحراء وآسيا الوسطى وجنوب آسيا. تحتوي هذه المنطقة مسارا بحريا رئيسيا للتجارة الدولية، وهي أيضا مورد مهم للطاقة لموارد الطاقة خاصة النفط والغاز، إلا أنها تواجه عددا من التحديات التي تزعزع استقرارها، مثل انتشار الجماعات الإرهابية خاصة ما يسمى (داعش)، التدفقات الجماعية للاجئين، الأزمة في سوريا، اليمن، ليبيا، القضية النووية الإيرانية، هذه التحديات تلفت انتباه المجتمع الدولي[(11)].

ينظر برنامج "الشرق الاوسط وشمال إفريقيا (Middle East And North Africa) التابع "لمركز معلومات البنك"[(*)] إلى المنطقة على أنها مكونة من الدول الناطقة باللغة العربية، إضافة إلى إيران، و(الكيان الصهيوني) وما يلفت الانتباه أن هذه المنطقة يختلف تعريفها من مؤسسة لأخرى، ومن دولة لأخرى لأسباب سياسية، أو للنطاق الجغرافي التي تعمل فيه هذه المؤسسة أو مصلحة الدولة. فحسب البنك الدولي تتكون المنطقة من: "المغرب، الجزائر تونس، ليبيا، مصر، الضفة الغربية وغزة، الأردن، سوريا، لبنان، العراق، الكويت، البحرين، قطر، الإمارات، عمان، اليمن، إيران، السعودية، جيبوتي، (الكيان الصهيوني)، مالطا، السودان، موريتانيا"[(12)].

تبدو روسيا حذرة من الوضع المتسارع من خلال التحرك مع تركيا تجاه محور جديد يقلل من الهيمنة الأمريكية، كما تحتفظ بعلاقاتها مع حماس في محاولة لاستعادة ثقة الدول العربية، وقد غضت روسيا الطرف عن دعم السعودية للمقاتلين الشيشان، مع وجود سكة حديد روسية يفترض أنها قيد الإنشاء كجزء من خطط التوسع الاقتصادي في المملكة العربية السعودية[(13)]، وعليه فإن إقامة علاقات طيبة مع دول منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من شأنه أن يعزز مكانتها خاصة في ظل تذبذب علاقات هذه الدول مع الولايات المتحدة الأمريكية التي تقف بشكل مفرط مع الاعتداءات المتكررة لسلطات "الكيان الصهيوني" ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس.

وانطلاقا مما تقدم يمكن تحديد ثلاث ركائز تقوم عليها الاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط:

- جيوسياسيا:

التركيز على بناء علاقات استراتيجية مع كل من إيران وسوريا وليبيا والجزائر وتحسين العلاقات مع تركيا والسعودية والكيان الصهيوني لزعزعة المكانة الأمريكية وتقليص النفوذ الأمريكي والغربي في المنطقة.

- اقتصاديا:

تعتبر منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بين أهم المناطق من الناحية الاقتصادية، حيث تزخر بالموارد الطاقوية الاستراتيجية، كما أن النزاعات وسباق التسلح في هذه المنطقة تدفع بالمركبات العسكرية لكسب المزيد من الفوائد حيث تجعل من دول المنطقة من أهم مستوردي الأسلحة.

- أمنيا:

تعتبر منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا امتدادا لدوائر الأمن القومي الروسي، كما أن البعد الروسي الذي أصبح ينادي به العديد من المفكرين والسياسيين الروس على غرار "ألكسندر دوغين" "Alexander Daugin" يشمل هذه المنطقة، لذلك فإنها "حديقة خلفية" للأمن القومي الروسي، يجب التمركز فيها.

أما فيما يخص العوامل التي أعادت روسيا إلى منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا فتتمثل في[14]:

- إعادة انتخاب "بوتين" سنة 2012 الذي حاول تأسيس علاقات وإيجاد تنوع في السياسة الخارجية، وما إن عاد للرئاسة بفترة وجيزة تصاعدت الاتصالات بين روسيا والمنطقة.

- أزمة العلاقات مع الغرب جراء الحرب على أوكرانيا وضم شبه جزيرة القرم، لذلك فإن إيجاد موطئ قدم في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا سيحد من آثار هذه الأزمة سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

المطلب الثاني: موقف روسيا من الثورات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

دخلت منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد سنة 2010 في أحداث تمثلت في انتفاضات شعبية أطاحت بأنظمة حكمت لفترة طويلة فاقت العشرين سنة في أغلبها، في مشهد يخلط أوراق الدول الكبرى التي تمتلك مصالح في المنطقة قد تزول بزوال الحكومات القائمة التي ترعاها، لذلك فقد تباينت مواقف روسيا مما يحدث في المنطقة يتوافق في بعض الأحيان مع الغرب (الولايات المتحدة وحلفائها) ويتعارض في أحيان أخرى.

بعد أن أسقطت حكومة "زين العابدين بن علي" في تونس وفراره في 2011/01/14 اعتبر الرئيس الروسي السابق "ديميتري ميدفيديف" بتاريخ 2011/01/26 أن "ما حدث في تونس كان درسا كبيرا لجميع الحكومات في العالم، لا ينبغي للحكومات أن تجلس على أمجادها وتنعم على مقاعد مريحة، ولكنها تحتاج للنمو والتطور مع المجتمع"[15]. يبدو من خلال هذا التصريح أن روسيا تتحفظ عما حدث في تونس، ولم تبد اهتماما كبيرا، ولكن في نفس الوقت كشفت هذه الكلمات عن واقع الحكومات العربية التي حولت

غايتها وأهدافها عن تحقيق التنمية وتطوير مجتمعاتها، وبدل وضع استراتيجية لهذا الغرض أصبحت استراتيجية للتكيف والبقاء في السلطة ولو على حساب حياة المواطنين.

وفي 2011/01/27 صرح القنصل العام لروسيا الاتحادية في الإسكندرية (مصر) "سيرغي بيدلاكوف" أن: "الأمور في مصر تحت السيطرة، ولا نتوقع أن يتفاقم الوضع"[16]. ومن جهة أخرى أصدر "ميدفيديف" بيانا أعرب فيه عن أمله في استعادة الآليات الديمقراطية بسرعة في مصر التي تعتبر عاملا مهما في مواصلة عملية السلام في الشرق الأوسط، وأنه من المهم أن يسود الوئام والوفاق بين الأديان في مصر، وجاء في البيان: "ستواصل روسيا لعب دور نشط في الجهود الدولية لتسهيل هذه العملية"[17]

وبشأن ما حدث في ليبيا فقد حذر كل من رئيس روسيا "ميدفيديف" (الرئيس السابق) ورئيس الوزراء "فلاديمير بوتين" (Vlademir Putin) من صعود المتطرفين للسلطة، والتدخل الخارجي قد يؤدي إلى صعود إسلاميين، وأن صعودهم قد يؤثر سلبا على مناطق أخرى بما في ذلك شمال القوقاز الروسي[18]، وقد أعلنت عدة دول اعترافها "بالمجلس الانتقالي" سلطة شرعية في ليبيا، لم تحذ روسيا حذو هذه الدول، فقد أعلنت وزارة الخارجية الروسية "أن الوضع في ليبيا لا يزال غامضا"، وقد أكد ذلك "ميدفيديف" بقوله: "رغم نجاحات الثوار وهجومهم على طرابلس، فإن القذافي وأنصاره مازالوا يحتفظون ببعض النفوذ والقدرات العسكرية." لكنها اعترفت بالمجلس الانتقالي في 2011/09/01[19]، ومع أن ليبيا كانت تعتبر حليفا مهما لروسيا في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، إلا أن روسيا وافقت على القرار 1970، لكنها امتنعت عن التصويت للقرار رقم 1973، ولكنها في الوقت نفسه لم تستخدم حق النقض "فيتو" وأبدت موسكو عدم ارتياحها للتدخل الخارجي في ليبيا، وبتاريخ 2011/05/27 أثناء قمة الثمانية (G8) أعلن "ميدفيديف" بأنه "يجب على القذافي أن يغادر" وعرض وساطة روسية لذلك، وما يثير الانتباه هو الخلاف الكبير بين الرئيس الروسي "ميدفيديف" ورئيس الوزراء "بوتين" – في تلك الفترة- حول ما حدث في ليبيا، إذ تبدو تصريحات الرئيس متوازنة، جاء تصريح " لبوتين" وصف فيه التدخل العسكري في ليبيا "بالحملة الصليبية"[20].

ويمكن تحديد أسباب تخلي روسيا عن نظام القذافي فيما يلي:

- ليبيا لم تعد ذلك الحليف الموثوق، وبالتالي يجب السماح بمجيء نظام جديد. وقد نجحت روسيا في ذلك رغم أنها لم تكسب ثقة "المجلس الانتقالي" في البداية إلا أنها استطاعت اكتساب ثقة "المشير خليفة حفتر".

- إرضاء الغرب بالسكوت عن ما حدث في ليبيا تمهيدا لتدخلات قادمة، وهذا ما حدث خاصة بضم روسيا لشبه جزيرة القرم الأوكرانية في 2014 ثم جهودها في سوريا للإبقاء على نظام بشار الأسد قابله سكوت من الغرب.

- التمسك بنظام القذافي سيجر موسكو لعدة جهات وينهك الجيش الروسي الذي تنتظره مهام أكثر أهمية (جورجيا، أوكرانيا، سوريا) خاصة وأن روسيا طالما انتقدت سياسة الولايات المتحدة فيما يخص التدخل العسكري في العراق.

مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد 10، العدد 01، ص ص: 370-381، أفريل 2019

- على المستوى الاستراتيجي تعتبر سوريا وأوكرانيا أكثر أهمية من ليبيا، فليبيا ليست إلا زبونا للسلاح الروسي بالإضافة إلى أن موالاة حكومة القذافي ستزيد من تغلغل روسيا في المنطقة، أما سوريا فهي منفذ روسيا للبحر المتوسط عبر قاعدة "حميميم" وميناء "طرطوس"، كما أنها السد الذي يمنع وصول الغاز القطري لأوروبا ما يبقي تبعية أوروبا لروسيا في هذا المجال، وأوكرانيا كذلك فالغاز الروسي يمر عبرها لأوروبا.

وعن الموقف الروسي بشأن ما حدث في البحرين فقد أعلنت الخارجية الروسية أن ما حدث في البحرين "شأن داخلي" ينبغي حله من خلال الحوار، واتفقت موسكو مع أغلب الدول حول ما حدث في البحرين،[21] واعتبرت أن تدخل قوات "درع الجزيرة" في 2014/03/02 جاء بطلب من الحكومة البحرينية ويدخل ضمن الترتيبات الأمنية بين دول مجلس التعاون الخليجي، لكن موسكو أكدت على ضرورة ضبط النفس والحل السلمي للأزمة[22]، حيث لا يخدم روسيا أن يزول النظام الملكي في المنطقة لأن النظام الملكي يضمن المصالح على المدى البعيد.

ترى روسيا أن ما يحدث في سوريا نزاع مسلح داخلي وبالتالي فإن بشار الأسد لا يتحمل وحده مسؤولية العنف، وإنما يتحملها الطرفان (السلطة والمعارضة). كما أن روسيا تؤكد على وجود (القوة الثالثة) وهي تنظيم (داعش) وتنظيمات إرهابية مقربة منه، تنامى نشاطها على نحو ملحوظ لا يهدد سوريا وحدها وإنما الأمن الإقليمي أيضا[23].

وبدأت روسيا تدخلا عسكريا في سبتمبر 2015 لمساعدة بشار الأسد على المحافظة على سلطته باعتباره حليفا قديما، وتخوفها من الإرهاب الدولي، وحماية مصالحها في المنطقة خاصة قواعدها البحرية والجوية في طرطوس واللاذقية[24]. ويعتبر العامل العسكري من بين العوامل التي ساندت فيها موسكو دمشق، كما أن العامل السياسي يلعب دورا، فالكرملين ينظر إلى الأمر أن حماية الأسد ليست عملية مرتبطة بالقائد، بل هي مرتبطة أكثر بتعزيز قدرة روسيا على التأثير في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا[25].

الخاتمة:

اعتمدت روسيا الاتحادية تجاه الشرق الأوسط وشمال إفريقيا استراتيجية قائمة على كسب مزيد من النفوذ عن طريق تقوية العلاقات مع الحلفاء القدامى، وبناء علاقات جيدة مع أطراف أخرى كانت حتى وقت قريب محسوبة على الولايات المتحدة الأمريكية، ويبدو أن روسيا نجحت لحد الساعة في مساعيها لاستعادة مكانتها الاستراتيجية بصفتها قوة عظمى في النظام الدولي، أي أن روسيا اعتمدت على استراتيجية قائمة على البراغماتية دون السعي لكسب الأعداء ، وبالتالي فقد ساهمت الاستراتيجية التي تتبناها روسيا الاتحادية تجاه منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في زيادة نفوذها في المنطقة.

رغم الاختلاف في التوجهات بين الرئيسين "ميدفيديف" و "بوتين" فيما يخص معالجة بعض القضايا إلا أن التوجه العام للاستراتيجية الروسية لم يتغير، وهذا ما ظهر من خلال وثيقتي الأمن القومي 2009 و 2015، ما يدل على أن روسيا تتجه فعلا لاستعادة مكانة القوة العظمى وذلك ما يثبت الفرضية الأولى التي تم طرحها في هذا المقال.

والملاحظ أن روسيا بدأت تزيد من حجم مكانتها في المنطقة، بل أصبحت تفرض حلولا تتلاءم ومصالحها، كما أنها استطاعت فرض منطقها متفوقة في ذلك على الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، ما أدى إلى تعزيز مكانة روسيا الدولية.

ورغم أن روسيا نجحت إلى حد بعيد في تحقيق أهدافها الاستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا على الأقل في المدى القريب (سنة ـ 5 سنوات)، إلا أن تباين مواقفها مما يحدث في المنطقة وصل في بعض الأحيان إلى التعارض ما يؤدي إلى تراجع مستوى الثقة مع دول المنطقة، وهذا ما يثبت صحة الفرضية الثانية.

ومما سبق يمكن استنتاج ما يلي:

- تظل منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من أكثر المناطق توترا، نظرا لأهميتها الجيوستراتيجية، وصراع القوى الكبرى للسيطرة عليها.

- تختلف استراتيجية روسيا في المنطقة من دولة لأخرى، لكنها في العموم تتفق إلى حد بعيد مع الغرب في بعض القضايا، وهذا ما يطرح إمكانية التقارب الروسي الغربي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

- تمسك روسيا بسوريا دليل على أهمية هذه الأخيرة بالنسبة لروسيا باعتبارها بوابة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

وفي الأخير يبدو أن أحداث ما يعرف "بالربيع العربي" لا زالت تأخذ تعقيدات وحسابات متزايدة ولن يكون لها حل على الأقل في المدى المتوسط (5-10 سنوات) نظرا لتشعب المصالح وتقاطع الأهداف وتعارض الاستراتيجيات وستكون الدولة التي تستطيع التوفيق بين أطراف الصراع في المنطقة السباقة إلى التغلغل في المنطقة والهيمنة عليها.

الهوامش:

(1) غازي عناية، البحث العلمي منهجية إعداد البحوث والرسائل الجامعية، دار المناهج للنشر والتوزيع، طبعة2001، ص ص 70 – 86.

(2) إسماعيل شعباني، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية، د دن، طبعة 2005، ص ص 40 - 41.

(3) بيير سيليربيه، الجغرافيا السياسية والجغرافيا الاستراتيجية، تر: أحمد عبد الكريم، الأهالي للنشر والتوزيع، طبعة 1988، ص ص 23- 24.

(4) Marcel de haas, Medvedev's security policy : A provisional assassement, russian analytical, Russia , N°62,18 june 2009, p 3.

(5) George Friedman, the Medvedev doctrine and American strategy,20/07/2018.http://www.stratfor.com/weekly/medvedevdoctrimeandAmericanstrategy.

(6) National security strategy of the Russian Federation to 2020, official document issued by kremlin, 12/05/2009, N° 537, pp3-4.

(7) ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، طبعة 2013، ص 188.

(8) المرجع نفسه، ص 191-204.

(9) Russia Military power building A military to support Great power Aspirations, Defense Intelligence Agency, DIA-M-1704-161, 2017, p16.

(10) Ibid, pp 25- 26.

(11) The Middle east and North Africa, Japan's Foreign Policy that takes a panoramic perspective of the world Map, Diplomatic Bleu Book, chapter 2, section 6, p 127.

(*) هيئة مستقلة غير ربحية، وغير حكومية تعمل من أجل حماية حقوق ودعم قيم المشاركة والشفافية، وتتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني في البلدان النامية للتأثير على المؤسسات المالية المانحة الدولية والإقليمية، لمعلومات أكثر أنظر:
http://www.bankinformationcentre-org

(12) مركز بنك المعلومات (BIC)، تقرير حول المؤسسات المالية الدولية ومنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، واشنطن، أكتوبر 2007، ص 6-1.

(13) Eric walberg, Russia in Moslim world, journal of Eurassian Affairs, Russia, Vol1 , November 2013, p 85-87.

(14) نيكولاي كوجانوف، العلاقات الروسية-العربية اليوم، مؤتمر روسيا والعالم العربي، بيروت، معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأمريكية، جوان 2017، ص 11.

(15) Dmitry Medvedev and adressed the world Economic Forum in Davos, Kremlin official web site, 26/01/2011, 31 / 07/http://em.kremlin.ru/event/presidant/neus/10163.com.

(16) نورهان الشيخ، روسيا والتغيرات الجيواستراتيجية في الوطن العربي، في كتاب: التداعيات الجيواستراتيجية للثورات العربية، لبنان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014، ص 292.

(17) Stratement by the presedant of russia on the situation in Egypt, kremlin official web site, 12/02/2001, 31 /07 / 2018http://www.kremlin.ru/event/presidant/10321. com

(18) Mark N.katz, Russia and ARAB spring, Meddle east institute, 03/04/2012 ، 30/07/2018
http://www.mei-edu/content/russia-and-arab-spring.com,

(19) نورهان الشيخ، مرجع سابق، ص 293.

(20)Mark N.Katz, op-cit.

(21)Ibid.

(22) نوهان الشيخ، مرجع سابق، ص 293.

(23)المرجع نفسه، ص295.

(24)James Sladden, and ithers, Russian Strategy in Middle East, RAND corporation, 2017, p 05.

(25) أنابورشيفكايا، روسيا في الشرق الأوسط، الدوافع-الآثار الآمال، دراسة صادرة عن معهد واشنطن (Washing institute)، فيفري 2016، ص.